مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــ ISSN 2661-7307
المجلد 06 ـ العدد 01 ـ السنة 2024 ص 04 - 19 EISSN 2773-4048
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/730
https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

توظيف الموارد والإمكانيات و أثره في نهضة الأمم
ذو القرنين نموذجاً

Employment of Resources and Capabilities and Its Impact on The Rise of Nations: Dhul-Qarnayn as a Model."

توفيق عبدالرحمن قاسم*

جامعة سلطان أزلن شاه، ولاية بيرا ماليزيا، *tawfeeq534@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 2023/03/07 تاريخ القبول: 2023/12/08 تاريخ: النشر: 2024/01/01

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز تجارب الأمم والشعوب في الاستفادة من الإمكانات والموارد المتاحة لها، وتوظيفها في نهضتها الحضارية، وأخذ الدروس والعبر من قصة ذي القرنين كنموذجٍ ملهمٍ في النهوض الحضاري. وقد توصلت الدراسة إلى أن أهم مقومات النهوض الحضاري تتمثل في القيادة الفاعلة الحكيمة، القادرة بعلمٍ ومعرفةٍ على إدارة الموارد البشرية والطبيعية، وعلى تشريع القوانين، وتعميق الهوية الإيمانية والقيمية بما يحقق النهضة؛ وهذا ما توفر في شخصية ذي القرنين.

الكلمات مفتاحية: توظيف؛ موارد؛ إمكانيات؛ نهضة؛ أمم؛ ذي القرنين.

Abstract: *The aim of this study is to highlight the experiences of nations and peoples in utilizing their available potentials and resources in their civilizational development, and to draw lessons and inspiration from the story of Dhul-Qarnayn as a model for civilizational advancement. The study concluded that the most important potentials necessary for civilizational progress include science and knowledge, deepening of faith and values, legislation of laws, as well as effective and wise leadership that can direct human and natural resources towards achieving its goals, all of which are embodied in the personality of Dhul-Qarnayn.*

Keywords: *utilization, resources, potentials, advancement, nations, Dhul Qarnayan*

* المؤلف المرسل.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

مقدمة

استخلف اللهُ – سبحانه – الإنسانَ في الأرض وعلمه كيفية عمرانها وصلاحها، وجعل فيها قوانين وسنناً تنظم الحياة عليها؛ ومن هذه السنن استفادة الإنسان من الموارد والإمكانيات التي تحفظ وجوده، وتحقق له متطلبات عيشه، فكل إنسان في الأرض له الحق في البناء والعمران دون تفريقٍ بين لونٍ أو عرقٍ أو دين، وميدان التسابق في هذ المجال أبوابه مفتوحة أمام جميع البشر. وما عرضه القرآن الكريم من قصصٍ للأمم السابقة تناول فيه باستفاضةٍ كيف كان لهذا السبب الأثر الكبير في تقلُب شؤون تلك الأمم وتبدل أحوالها؛ وفي قصة ذي القرنين نجد نموذجاً في التمكين الحضاري، حيث مكن الله له في الأرض، ويسر له الأسباب المادية والمعنوية، وأُعطيَ الملك والقوة، فوظف كل ذلك في إقامة العدل، وإصلاح الأرض، وإدارة شؤون الناس بما يحقق مقصد الخالق سبحانه، ودعا مَن معه إلى المشاركة والإيجابية وعدم التواني أو الكسل.. ورسخ مبدأ الثواب والعقاب، وأنجز إنجازًا حضاريًا سجله القرآن ليكون عظةً وعبرة.

المطلب الأول: التعريفات اللازمة للبحث

1- التعريف بالموارد والإمكانيات

المورد في اللغة: هو المنهل والمصدر والمنبع. (ابن منظور، 1997م،ج 11/ ص 681)

وفي الاصطلاح: يشير مصطلح الموارد إلى كل ما يمكن استخدامه لتحقيق أهداف معينة، سواء كانت هذه الموارد من الطبيعة أو من صنع الإنسان، وتشمل - على سبيل المثال - العمالة، والأراضي، والمال، والمعدات، والمواد الخام، ويمكن استخدام الموارد في عدة مجالات مثل الإنتاج، والتصنيع، والخدمات، ويعد توظيف الموارد بطريقة فعالة ومناسبة من العوامل الأساسية لتحقيق النمو والتنمية في المجتمعات (عبداللطيف، 2022م، ص3)

الإمكانية في اللغة: تعني المَقْدرة والوسْع والاستطاعة. (ابن منظور، 1997م، ج 6/ ص 465)

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

وفي الاصطلاح: الإمكانيَّات: هي الوسائل التي تحت التّصرّف، أو الطّاقات التي يمكن الاستفادة منها، فيمكن القول إن الإمكانيات تعتمد بشكل أساسي على الجهد البشري، سواء كان مادياً كالقوة والمهارة، أو معنويا كالعلم والإيمان والقيم، أما الموارد فهي ما أودعه الله في الأرض لتهيئة العيش فيها؛ فقد يتوفر عند البعض الكثير من الموارد في الوقت الذي تنعدم عندهم الإمكانيات اللازمة للاستفادة منها.

2- التعريف بالنهضة الحضارية

النهضة في اللغة: من الفعل نهض بمعنى قام، والنهضة: التجدد والانبعاث. (ابن منظور، 1997م ج/15 ص 358)

والنهضة في الاصطلاح هي: عملية تغيير حضاري شامل يتناول كافة أبنية المجتمع وأدواره، ويشمل الجوانب المادية والإنسانية. (هلالي، 1985م، ص79)

والحضارة في اللغة هي: كما ورد في لسان العرب: "الإقامة في الحَضَر، والحَضَر خِلاف البادية، وهي المدن والقرى والأرياف. (ابن منظور 1997م، ج 4/ ص 179).

والحضارة في الاصطلاح: هي مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمرانٍ وعلومٍ وفنون، والترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية. (تاج الدين، 2017م، ص 5)

3- التعريف بذي القرنين

ذو القرنين شخصية غير معروفة يقيناً، تضاربت أقوال العلماء في تعريفه من غير حجة قاطعة، والخوض في معرفة شخصه لا يفيد القصة، ولو كان في ذكره فائدة لبُيّن ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ فلا طائل للبحث من ورائه (رمضان، 1995م، ص 45) فهو شخصية عظيمة، اتصف بالعدل والإصلاح، وأصبح مثالاً للحاكم الصالح على مر التاريخ بشهادة القرآن الكريم، والمشهور أن ذا القرنين لم يكن نبياً ولا رسولا، وإنما كان رجلاً صالحاً مكّن الله له في الأرض، وأعطاه الملك، ويسر له أسباب الحكم والبناء والعمران، فقام بحق هذا التمكين، وقاد ثلاثَ رحلاتٍ كانت الغاية منها الدعوة إلى التوحيد، ونشر الفضيلة، ونصرة المظلومين، وردع الظالمين. (الحمدي، 2021م، ص24)

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

المطلب الثاني: أهم الإمكانيات والموارد وتوظيفها عند ذي القرنين

نهوض الحضارات وصعودها ليس بالعملية السهلة؛ بل هي عملية بالغة الصعوبة، تحتاج إلى الجهود الجبارة، وتسخير الموارد وتوظيف الإمكانات في مجالات الحياة المختلفة، وفي هذا المطلب سنقف على أهم الأسس اللازمة للبناء الحضاري، وعرضها من خلال قصة ذي القرنين، بحسب اتساع المجال.

أولاً: العلم

يعتبر العلم العامل الأكثر فاعلية في نهضة الأمم وتقدم الشعوب على مدار التاريخ، فهو المؤهل الأول في خلافة الإنسان للأرض، وهو سر تمييز آدم على الملائكة، فالله - سبحانه - عندما أراد أن يُهبط آدامَ إلى الأرض أخبر الملائكة عن ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. فتقدم الملائكة بعرض أحقيتهم وأهليتهم لذلك: ﴿قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لك﴾ (البقرة / 30). ويُفهم من ذلك أنهم لم يكونوا على إدراكٍ بطبيعة الخلافة الموكلة إلى الإنسان، وكان ظنهم بحكم طبيعتهم أن من يقوم بالتسبيح والتقديس هو الأصلح لخلافة الأرض، يقول سيد قطب: "لقد خفيت عليهم المشيئة العليا، في بناء هذه الأرض وعمارتها، وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وتعديلها، على يد خليفة الله في الأرض"(قطب،2003م، ج 1/ ص 35)

ويتجلى سر التمييز بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة /31) فالعلم المشار إليه هو الرمز بالأسماء على الأشياء، وهي قدرة ذات قيمة كبيرة في مهمة الخلافة في الأرض، "وهذا هو التكريم في أعلا صوره للإنسان الذي يسفك الدماء ويفسد في الأرض، ولكنه وُهِب من الأسرار و المعرفة ما رفع به على الملائكة." (سيد قطب 2003م، ج1 /ص 38). ولقد وُصِف العلمُ في القرآن الكريم بالسلطان، قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن /33) وفيه إشارة إلى أن التوسع في الأرض والنفوذ من أقطارها - وهو ما يمثل قمة التقدم البشري والحضاري - لا يكون إلا بالعلم، ومما يلاحظ أن كل نهوض حضاري وراءه تفوقٌ علمي ومعرفي، ولم يحدث أن قامت حضارة على الجهل والتخلف، فالأمم الجاهلة والمتخلفة تعيش في ذيل الأمم.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

توظيف العلم عند ذي القرنين

يعتبر العلم أحد أهم الأسباب التي أوتيها ذو القرنين، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ (الكهف /84) وهذا العلم قد يكون متحصلا عنده شخصياً أو عند جيشه وأتباعه، المهم في الأمر كيف تم توظيف العلم في البناء الحضاري الذي شيده ذو القرنين، ويمكننا الإشارة هنا إلى نماذج لبعض العلوم والمعارف التي كان لها حضورٌ وتأثيرٌ في رحلات ذي القرنين على الشكل التالي:

1- **علم الجغرافيا**: قرار ذي القرنين أن يبلغ مغرب الشمس ومطلعها لم يكن سهلاً؛ بل كان هدفاً طموحاً وبعيداً، يدل على أنه كان يمتلك إمكانياتٍ كبيرةً تمكنه من تحقيقه، وأهمها العلم بتضاريس الأرض وجغرافيتها من فجاجٍ ووديانٍ وجبالٍ وسهولٍ، ولولا ذلك لانتهى به الحال إلى الشتات والضياع دون الوصول إلى الهدف المنشود. ولذلك استطاع ذو القرنين أن يُوظف هذا العلم في حركة جيوشه شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، واكتشف في رحلاته عوالمَ جديدةً أرسى مُلكه فيها، ودعاهم إلى الإيمان والتوحيد. (الصلابي، 2013م ص176)

2- **علوم الصناعة**: بناء السدود يحتاج إلى معرفةٍ وعلمٍ دقيقٍ بخصائص الأشياء، ويحتاج إلى درايةٍ بأسس البناء والتشييد، فالسد الذي بناه ذو القرنين ليس سداً مائياً يحتجز كميات من الماء، بل يحتجز وراءهُ مجموعاتٍ مفسدةً للأرض ومهلكةً للبشر، فلذلك كان بناؤه بحاجةٍ إلى مواصفاتٍ خاصة، وهذا ما كان متوفرا عند ذي القرنين. فقد بنى سداً قوياً استحال ثَقبه برغم العصور المتعاقبة عليه كما وصفه القرآن بقوله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُ نَقْباً﴾ (الكهف / 97) وفيه إشارة إلى الإحكام والمتانة بحيث استحال عليهم تسلقه والظهور عليه، وكذلك ثقبه والنفوذ من خلال ثغرات بنائه.

3- **علم التقدير**: التخطيط علمٌ دقيقٌ يسبق القيام بأي عمل، وهو ما يسمى اليوم بعلم الهندسة، فالمهندس يخطط للبناء ويقدر احتياجاته من المواد، ويحدد نوع المواد المناسبة لطبيعة البناء، وهذا نجده حاضراً عند ذي القرنين أثناء البناء والتشييد للسد، فقد قدر أن المواد المناسبة للبناء هي الحديد الصلب، والنحاس المذاب ليكون قوياً صلباً، يستحيلُ خرقُه والنفوذُ من خلاله، وأملسَ يستحيل صعودُه وتسورُه، وهذا هو الهدف المنشود من البناء، وهو منع هؤلاء القوم المفسدون من الخروج منه. (الصلابي 2013م، ص 185)

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ ذا القرنين امتلك العلم والمعرفة، وسخرها في خدمة الإنسان، وفي توسيع ملكه القائم على أساس الإيمان بالله تعالى والعدل بين الخلق، فجمع بين العلم والعمل، وهذا هو سر النهوض والبقاء للحضارات البشرية، والتنكر لهذه السنة الإلهية يعد سبباً للسقوط. فعندما يُوظف العلم في خدمة المصالح الخاصة، ويُستخدم كوسيلة لتضليل الناس وإفسادهم كما هو الحاصل في بني إسرائيل، حيث أعطاهم الله العلم والكتاب ولكنهم ضلوا به وأفسدوا، فكان سبباً في سقوطهم وهلاكهم، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى/ 14) ومما يجدر الالتفات له أن الأمة الإسلامية تمتلك بين يديها أساس العلوم كلها، وهو القرآن الكريم الزاخر بالمعارف والعلوم، فقد شيّد به المسلمون الأوائل أرقى حضارةٍ عرفتها البشرية، أما اليوم فالأمة الإسلامية بعيدة كل البعد عن تفعيل دور العلم في واقع الحياة، والانطلاق من خلاله إلى النهضة الحضارية الكبرى، فعلوم القرآن والسنة تَوسَّع فيها العلماءُ في مجالِ العقائد والعبادات والأخلاق، وبقي دوره في بعض المجالات ضعيفاً كالسياسة والاقتصاد والعلوم التطبيقية والاكتشافات العلمية، على الرغم من أنّ أكثر من ثلث القرآن يدور حول التأمل والنظر والبحث في رحاب الكون الواسع.

ثانياً: القيم والتشريعات

تعد منظومة القيم والأخلاق من أهم ما يحفظ المجتمعات البشرية من الضياع والتفكك. والتصورات الفكرية التي يؤمن بها الأفراد تترك أثراً كبيراً في سلوكهم، وينعكس ذلك الأثر على المجتمع والأمة، والقرآن الكريم بيّن أنّ هلاك كثيرٍ من الأمم كان سببه اندثار القيم الإيمانية، وفساد منظومة الأخلاق، كما هو الحال في هلاك قوم شعيب ولوط وصالح وغيرهم، يقول الله تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون﴾ (الأنعام/44). وفي الجانب الآخر نجد أنّ التمسكَ بالقيم، والالتزامَ بالأخلاق والاستقامة على أمر الله، يعدّ سبباً لسعادة العيش، وازدهار الحياة، ونهضة الأمم، قال تعالى: ﴿ولَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف/96).

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

وإلى جانب القيم الإيمانية يأتي دور التشريعات والقوانين لضمان استقامة الناس على المنهج الإلهي، فالله - سبحانه - أرسل الرسل بالقيم الإيمانية لإصلاح الناس، وربطهم بخالقهم، وجاءوا بالتشريعات والأحكام التي من شأنها أن تُصلح الحياة وتُقيم العدل، وتحفظ حقوق الناس قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ (الحديد/ 25) { وَالْمِيزَانَ } هو العدل في الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل كله عدلٌ وقسطٌ في الأوامر والنواهي، وفي المعاملات والأخلاق، وفي الجنايات والقصاص والحدود، وذلك قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها. (السعدي، 2002م، ص824) لذلك أوجب الله تعالى العقوبة الدنيوية الزاجرة لأهل الجرائم والإفساد في الأرض، وكلف أهل الإيمان بتنفيذها لتستقيم الحياة.

توظيف القيم والتشريعات عند ذي القرنين

قدم ذو القرنين منهجاً واضحَ المعالم في تربية الشعوب، والسعي بها نحو العمل لتحقيق العبودية الكاملة لله تعالى. (عاشور، 2007م، ص 266) فملكه قائمٌ بالأساس على الإيمان بالله تعالى، ودعوة الناس إليه، " فقد جمع بين فتح البلدان وفتح القلوب، فكان إذا انتصر على أمة دعاهم إلى الحق والإيمان، وهذا يدل على إيمانه وتقواه، وفطنته وعدله." (كامل، 1995م، ج2/ص623) ويلاحظ توظيف ذي القرنين للقيم الإيمانية من خلال الآتي:

1- تفعيل مبدأ الثواب والعقاب

حيث جعل العقاب على الظالم بأن يوقع عليه عذاباً دنيويّاً، يكون جزاءً له، ورادعاً لغيره عن فعل المحرمات والإفساد في الأرض، ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ (الكهف /87) ثم سن مبدأ المكافأة للمحسن بحوافزَ ماديةٍ دنيويةٍ: ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى﴾ (الكهف/86). أي سنثني عليه بالقول، ونكرمه ونعلي من شأنه، وهذا التحفيز يقوّي العزائم، ويدفع لبذل المزيد من الجهد والعطاء. (الصلابي 2019م، ص170).

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

2- **توظيف الإيمان باليوم والآخر**

للجانب الإيماني أثرٌ كبيرٌ على النفوس، فالتذكير بالآخرة وما فيها من نعيمٍ وعذابٍ يدفع الناسَ إلى إخلاص العبادة وإصلاح الأعمال، فذو القرنين برغم ما يملك من قوةٍ وسلطانٍ خاطب الناس بالآخرة، ورغبهم في نعيمها، وخوفهم من عذابها. (مهدي الرباني 2018، ص5) يقول الله - سبحانه - عنه: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْراً﴾ (الكهف /87) فقد توعد الظالمين بالعقوبة، وأنّ بطشهُ سينالهم إنْ لم يمتثلوا أمر الله، وفي الآخرة سيواجَهون بعذاب الله، ووعد المؤمنين بالإحسان إليهم في الحياة الدنيا، وبشّرهم بنعيم الجنة في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾. (الكهف /88). وفي هذا قمة التوازن في الخطاب الدعوي حيث يجمع بين الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي.

3- **شكره لنعم الله عليه، واعتزازه بما أعطاه**، وربَط الناسَ بمصدر القوة الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، ويظهر ذلك في قوله عندما عُرض عليه الخَرْجُ مقابل بناء السد. ﴿قالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾ (سورة الكهف/98) وبعد أن أحْكَم بناء السد لم يتباهَ بإنجازه وعمله، بل رد ذلك إلى توفيق الله ورحمته: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (سورة الكهف/98) فهو بهذا يقدم درساً بالغاً للأمم والشعوب في رد الفضل لله تعالى وحده، حتى ولو كانوا هم سبباً فيه.

ثالثاً: القيادة والإدارة

فالقيادة: هي القدرة على التأثير وتحفيز الأفراد للقيام بما يحقق الأهداف. وتُعد القيادة من أهم العناصر التي يجب توافرها في الشخص الإداري، لتكون سبباً في تحقيق الأهداف بأعلى درجات الكفاءة والفاعلية. (الفضل، 1996م، ص27). كما تُعرّف القيادة الإدارية بأنها "صلاحية الشخص المنتخب من قبل الجماعة، أو المعين من خارجها بمقتضى القوانين واللوائح لاتخاذ قرارات فعالة، تستهدف تحقيق التوازن بين المنظمة وإشباع رغبات التابعين، بما له من مقدرة على التأثير والإقناع، مستخدمة في ذلك أحدث الأساليب العلمية والتكنولوجية لتحقيق أكبر إنتاجية ممكنة."

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

أما الإدارة: فهي النشاط الذي يمارسه القائد الإداري في مجال اتخاذ القرار وإصدار الأوامر، والإشراف على الآخرين. فالقيادة لازمٌ مهمٌ للنهوض الحضاري، فبها تُوجّهُ الموارد نحو تحقيق الأهداف، فوفرة الإمكانيات والموارد بدون قيادة حكيمة، لا يكون لها أثرٌ كبيرٌ في تحقيق التقدم والنهوض. (هواري، 2006م، ص17)0

توظيف ذي القرنين للقيادة والإدارة

تظهر ملامح القيادة الناجحة في شخصية ذي القرنين من خلال الأحداث التي ذكرها القرآن الكريم، وما يهمنا هنا هو الوقوف على كيفية توظيفها في ترسيخ حكمه، والنهوض بأمته، ويتبين ذلك في النقاط التالية:

1- **اتخاذ القرارات:** من أهم سمات القائد الناجح قدرته على اتخاذ القرارات المبنية على رؤيةٍ واضحةٍ للواقع، ودراسة الحلول الممكنة، واتخاذ القرارات في التوقيت المناسب وبالكيفية الصحيحة. (فريد المناع 2007م، ص6). والواضح أنّ ذا القرنين كان صاحب قرارٍ وشجاعة، فقد قاد جيشاً عظيماً قاصداً به البلاد البعيدة في مشارق الأرض ومغاربها، بهدف الدعوة إلى الله، وكانت له قراراتٌ يعرضها بشجاعة وينفذها بحزم، كما سيتبين لنا في الفقرات القادمة.

2- **سرعة الاستجابة:** الأحداث المفاجئة تحتاج إلى السرعة والمبادرة دون تردد أو تمهل، وهذا ما تجلى في شخصية ذي القرنين، فعند بلوغه بين السدين وقف على مشكلة خطيرة وحالة طارئة، متمثلة في غارةٍ وشيكةٍ من أعداء أقوياء يفسدون في الأرض، ويقلقون أمن الناس، وينهبون ثرواتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الكهف/ 9) فلم يتردد في قرار المشاركة معهم في دفع الخطر.

3- **المشاورة في إيجاد الحلول:** يستمع ذو القرنين إلى مقترحات القوم في إيجاد الحلول، وتأتي فكرة بناء السد، قال تعالى: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ (الكهف/ 9) والسدّ عبارة عن حاجزٍ صلبٍ يمنع تقدم يأجوج ومأجوج، فقبل اقتراحهم واستحسنه.

4- **جمع البيانات والمعلومات:** اتخاذ قرار كبناء سد لا يأتي دون معرفة كاملة بقدرة العدو، وطبيعة المكان والتضاريس، وهذا ما يؤكد أن بناء السد كان في مكانٍ مناسبٍ بين جبلين لا منفذ للعدو غيره، وإلا لا فائدة منه، وهذا ما يستدعي مسحاً جغرافياً لكامل المنطقة، كما أن ارتفاع السد ومتانته ونوعية المواد المختارة للبناء كلها كانت بناءً على المعلومات المتوفرة عن العدو وقدراته، وإلا لما تحقق الغرض من السد في توفير الأمن والحماية.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

5- الإشراف المباشر على التنفيذ: فقد كان ذو القرنين حاضراً بينهم، يده بيدهم وهم يقيمون الردم، ويتابع مراحل التنفيذ، فالاتصال الفعال بين القائد والتابعين، من أساسيات إدارة الأزمات.

رابعاً: الموارد البشرية

الإنسان هو العامل الأكثر تأثيراً في بناء الحضارات البشرية، فهو محور ارتكازها ومركز الدائرة فيها، ولولا وجود الطاقات البشرية لما شُيد عمرانٌ ولا قامت حضارة، فالبشر طاقة هائلة مسخرة من الله لأداء مهمة الخلافة في الأرض وتعميرها، شريطة أن يوجد القائد الذي يستطيع توجيه تلك الطاقات لتحقيق الهدف المنشود، وبالمقابل يمكن أن تكون الطاقة البشرية أداةً للدمار والخراب وسفك الدماء إذا لم يتوفر لها أجواء العمل والإنجاز.

توظيف ذي القرنين للموارد البشرية

ذو القرنين لم يكن يقدم الخير والمنافع للناس فحسب؛ بل كان يصنع منهم أمماً منتجةً تدبر شؤونها وتقوم عليها بنفسها، وهذا يعتمد بشكلٍ أساسٍ على مدى وضوح رؤية القائد في بناء مستقبل أتباعه، فتقديم المنافع للناس والدفاع عنهم دون إشراكهم يؤدي إلى الركون والاتكالية، ويُضعف روح الإقدام والمبادرة، ويصنع منهم أمة مُسْتهلكة عاجزة عن القيام بمهامها والدفاع عن نفسها، معتمدة على غيرها، والبشر لديهم طاقاتٌ كامنةٌ ومتنوعةٌ تحتاج إلى تدريبٍ وتشجيعٍ لإخراجها والاستفادة منها، وفي ما يلي سنقف على تجربة ذي القرنين في توظيفه للطاقات البشرية، وكيف استطاع الاستفادة منها. فقد وصل ذو القرنين إلى مشارق الأرض ومغاربها، ونشير هنا إلى ما أورده القرآن الكريم في قصته مع أصحاب السدين، ومنهجه في التعامل مع الطاقة البشرية، ويظهر من خلال القصة أن هؤلاء القوم كانوا قوماً سلبيين غير فاعلين، ومن صفاتهم:

- أنهم قومٌ غير متعلمين، وليس لهم قدرة على التفاهم مع الغير، قال الله تعالى عنهم: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا﴾ (الكهف/94) يقول ابن كثير: "لاستعجام كلامهم فَهُمْ لم يتعلموا لغة غيرهم من الناس." (ابن كثير /196) وهذا يمثل تحدٍ جديدٍ إذ أن من الصعوبة بمكان التعامل الإيجابي والفعال مع انقطاع وضعف آلية التواصل.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

- أن هؤلاء القوم ضعفاء عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم، ولم يكن لهم أي محاولة في مقاومة عدوهم (يأجوج ومأجوج)، لذلك شَكَو لذي القرنين حالهم، وطلبوا منه القيام بمهام الدفاع عنهم وحمايتهم، ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف / 95).

- كانوا قوماً أغنياء، لذلك عرضوا المال على ذي القرنين، كما أن جميع المواد المستخدمة لبناء السد كانت متوفرة لديهم، ولكنهم اتكاليون لا يمتلكون المبادرة والإقدام، وتتضح ملامح منهج ذي القرنين في توظيفه لهؤلاء القوم من خلال النقاط الآتية:

1- **عدم استغلال حاجات الناس** في بسط النفوذ وإرساء دعائم الملك كما هو حال الكثير من الساعين إلى ذلك، فلا تُبنى حضارتهم وأمجادهم إلا على أنقاض الشعوب الأخرى، فهؤلاء القوم البسطاء السذج يعرضون عليه الأموال طالبين عونه لهم في دفع الخطر عنهم، ولكنه أعلن لهم مبادئه: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ (الكهف /95) فهو قد وظف أمواله وإمكانياته لإصلاح الأرض وفق منهج العدل الإلهي. (عبد العزيز كامل: 1995م، ص 615).

2- **التشجيع على العمل والمشاركة فيه**: فقد كان بمقدور ذي القرنين بناء السد بقوة رجاله وأتباعه، ولكنه أراد أن يعزز الإيجابية عند أصحاب البلدة، ويدعوهم إلى المشاركة، ويكون ذلك بمثابة الدرس العملي لهم في مواجهة المخاطر وتحمل مسؤولية الدفاع عن النفس؛ فلذلك دعاهم إلى العمل بجدٍ وتفانٍ فقال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ (الكهف /95).

3- **العمل الجماعي** من خلال منظومةٍ متماسكةٍ تحت قيادةٍ موحدة، وهذا هو سر النجاح والنهوض لكثيرٍ من الأمم؛ فالإنجازات الحضارية العملاقة لا يمكن أن تقام بجهود منفردة، أو في أجواء الفوضى وعدم النظام، فنلاحظ هنا كيف حرص ذو القرنين على العمل ضمن الفريق، فهو يوجه الأوامر للقوم بوضوح، وبخطوات متناسقة في العمل، ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ (الكهف/ 96). فهو لم يستعن بجيشٍ، ولا بأناسٍ آخرين، إنما استخدم هؤلاء القوم، وقوى ضعفهم، وعلمهم كيف يعينون أنفسهم، وكيف يدفعون الخطر عنهم، وأعانهم هو بخبرته وعلمه.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

4- التأهيل والتطوير

القائد الناجح هو الذي يستطيع أن يفجر طاقات المجتمع ويوجهه نحو الخير، فالمجتمعات البشرية غنية بالطاقات المتنوعة، ويأتي دور القيادة في تنسيق الجهود والطاقات، فالمركزية والاستحواذ تنشئ أتباعاً عاجزين، وذو القرنين كان قائداً مُكِّنَ له في الأرض، فقَوّى المستضعفين وجعلهم قادرين على حماية أنفسهم من العدوان، ولم يتركهم قاعدين متفرجين؛ بل نقلهم إلى ساحة الجد عاملين، وكسر حاجز الانعزالية داخلهم، فإذا أرادوا بناء ردمٍ ثانٍ وثالثٍ حتى في عدم وجود ذي القرنين لفعلوا، فقد أثار فيهم قيمة الإنسان قبل أن يبني البنيان. (الصلاب 2013م، ص 176) وما أحوج الأمة الإسلامية إلى القيادة الحكيمة، فالأمة تزخر بالمواهب الضائعة، والطاقات المعطلة، والأموال المهدورة، لكنها تعاني من كساد القوة البشرية، والاتكالية على الآخرين في كل متطلبات الحياة، فتجد المسلم في بعض البلدان لا يعمل بيده، ويعتمد على غيره حتى في لبس ثيابه ونعاله، ناهيك عن أعمال البناء والعمران والتصنيع، وتسبب هذا في ظهور جيلٍ عاجزٍ عن العمل، ليس لهُ همٌ في النهوض والتقدم في ميادين السباق الحضاري، ومن جهة أخرى تعجز الحكومات الإسلامية عن الاستفادة من الكوادر البشرية المؤهلة، مما دفع بالكثير من العقول والطاقات إلى اللجوء إلى بلدان أخرى وجدوا فيها من يقدر مكانتهم، ويفّعل طاقتهم، وهو ما يطلق عليه اليوم (هجرة العقول)، حيث تزايدت أعداد المهاجرين خاصة من الكوادر العلمية المتخصصة، وحُرِمتْ دولهم من الاستفادة من خبراتهم وكفاءاتهم في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية (قويدر، 2016م، ص14).

ثالثاً: الموارد الطبيعة

المقصود بالموارد الطبيعة هو: هبات الطبيعة التي أوجدها الله في الأرض ليستغلها الإنسان، ويستعين بها على تلبية حاجاته، (عقيل، 1966م، ص78). وهذه الموارد مسخرةٌ للإنسان لتطويرها بما يحقق استقراره وخلافته في الأرض، يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان /20) والقرآن الكريم يلفتُ الأنظار إلى الكون بمائِه وهوائه، وبحارِه وأنهاره، ونباتِه وحيوانه وجماده، وشمسه وقمره، وليلِه ونهاره، فكلٌ ذلك مسخرٌ لمنفعة الإنسان، وعليه أنْ ينتفع بما سُخَّر له، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم/31-33). ويتفاوت الناس في الاستفادة من هذه الموارد وتسخيرها فيما يخدمهم، ويصلح الأرض، فالبعض إذا حازها، وتمكن منها، سخرها في غير ما خُلقت له، وجعل منها سبباً للكبر والطغيان والإفساد في الأرض. (الكريطي، 2007م، ص117) يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ البوار﴾ (إبراهيم /28).

ويخبر الله عن قوم عاد أنهم كانوا أصحاب ثروات وقدرات هائلة: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (الشعراء /128-132) ولكنهم لم يوظفوا تلك الموارد فيما يوافق أمر الله، وكانت سبباً في استكبارهم وبغيهم، وتكذيبهم لرسلهم، فأهلكم الله، وأزال ملكهم، وكذلك الحال في قوم سبأ، حيث رزقهم الله بلدةً طيبةً ذات جناتٍ وثمارٍ، وأمدهم بالكثير من النعم والموارد الزراعية والحيوانية، يقول الله: ﴿بلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ / 18) ولكنهم لم يكونوا أهلاً لها، وفرطوا فيها، وعجزوا عن توظيف تلك النعم العظيمة في ما يحقق أمنهم واستقرارهم وصلاحهم، فكان عاقبتهم الهلاك والضياع يقول الله عنهم: ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ (سبأ/ 19).

توظيف ذي القرنين للموارد الطبيعة

سبق الإشارة إلى أنّ ذا القرنين سخّر كل إمكانياته وطاقاته في تحقيق إصلاح الأرض، رافعاً راية العدل، وداعياً للإيمان بالله، وفَضّل أن يعيش حياة المحارب الفاتح. وفي قصة بناء السد نجد نموذجاً رائعاً في توظيف الموارد الطبيعة والاستفادة منها، فالمواد اللازمة للبناء لم يكن يحملها معه بل كانت متوفرة عند القوم أنفسهم، فعندهم الحديد والنحاس ووسائل التسخين وغيرها، ولكنها ظلت مهملة، حتى طلبها منهم، واختار المواد المناسبة لبناء السد، حيث بدأ بالحديد، وهو معدنٌ طبيعي فيه بأسٌ ومنافعٌ، يقول الله سبحانه: ﴿وَأَنزلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾. (سورة الحديد /25) وهو قوةٌ في الحرب والسِّلم، بل إنَّ

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

الحضارة البشرية في عصورها المختلفة قامت على الحديد. وكذلك خَلَطَ النُّحاسَ المذابَ بالحديدِ لتزداد صلابته، وقد استُخدمتْ هذه الطريقة حديثاً في تقوية الحديد، فُوجِدَ أنَّ إضافة نسبة من النحاس إليه تضاعِفُ مقاومتَه وصلابته.

نتائج البحث:

مما سبق يمكن الخلوص إلى الآتي:

1- مواهب الأرض ومواردها مسخرة للإنسان ليتمكن من خلافة الأرض وعمارتها، وهي متاحة لجميع البشر.

2- الخوض في تفاصيل شخصية ذي القرنين لا يقوم على أدلة صريحة، والأفضل الاكتفاء بما ذكره القرآن، وهو أنه ملكٌ عادلٌ أخذ بالسُنن الإلهية في بسط ملكه، وشيد حضارةً عظيمةً خلدها القرآن الكريم للعظة والاعتبار.

3- أهم الإمكانيات والموارد اللازمة لنهضة الحضارات هي: العلم، والقيادة، والإنسان، والطبيعة، والقيم الإيمانية، وهذا لا يعني عدم وجود غيرها بل هذا ما تم التركيز عليه من خلال دراستنا لشخصية ذي القرنين.

4- ذو القرنين وظّف الموارد والإمكانات في عمارة الأرض، ونشر العدل، فعمل بالعلم وطبقه في الواقع، وطور الإنسان وقوى ضعفه، وجعله قادراً على القيام بدوره الفاعل في الحياة، كما استغل ما يمكن استغلاله من موارد الطبيعة، ووظفها في خدمة الشعوب، كما أنه كان شخصيةً قياديةً أحبه الناس والتفوا حوله.

5- أنّ الأمة الإسلامية مليئةٌ بالمواهب والخيرات والقدرات والإمكانيات، ولكنها ضائعةٌ وغير مستغلة ولا مفعلة بالشكل المطلوب لاستعادة حضارتها وريادتها.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

قائمة المراجع:

- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة الخانجي، الطبعة: الرابعة، 1997م، القاهرة.

- محمد خير رمضان: ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، الطبعة الثانية 1995م، دار القلم، بيروت.

- صلاح عبد الفتاح الخالدي: مع قصص السابقين في القرآن، طبعة دار القلم ،2007م، بيروت.

- عبد الشافي أبو الفضل: القيادة الإدارية في الإسلام، الطبعة الأولى، 1996م، معهد الفكر الإسلامي، لندن.

- سيد قطب: في ظلال القرآن، طبعة دار الشروق 2003م، القاهرة.

- سيد هواري: ملامح مدير المستقبل من الإدارة التبادلية إلى الإدارة التحويلية، الطبعة الربعة، 2006م، دار قرطبة، القاهرة.

- عبد العظيم بن محسن الحمدي: الحكم الرشيد عند عظماء الإسلام والملوك ذو القرنين نموذجا، دار الكتب الوطنية، صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى 2021م.

- محمد علي الصلابي: فقه النصر التمكين في القرآن الكريم، دار الصحابة، الطبعة الأولى 2013م، الشارقة

- محمد إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الطبعة الثانية 1999م.

- عبد العزيز مصطفى كامل: الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، دار طيبة للنشر،1995م، الرياض.

- الدكتور إبراهيم قويدر: فقدان المواهب لصالح بلدان أخرى وقف هجرة العقول العربية، مجلة أبحاث، ميسان، المجلد الثاني عشر، العدد الرابع والعشرون 2016م.

- مجدي محمد عاشور: السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم أصول وضوابط، دار السلام القاهرة، 2007.

- محمد فاتح عقيل: جغرافية الموارد والإنتاج، القاهرة؛ الإسكندرية، مصر، دار نشر الثقافة، 1966م.

- حسين الكريطي: الأسس النظرية للمنهج التنموي الإسلامي في القرآن الكريم، مجلة آل البيت 2007م.

- علاء الدين هلالي: الفكر الاجتماعي وقضية التنمية، مجلة الدوحة، العدد 114 قطر 1985م.

- الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي: مفهوم القيادة الإدارية.

https://doi.org/10.34118/jhc.v6i1.4721

- عبد الله علي عيدروس البار: مليكة الموارد الطبيعية في الإسلام، بحث ماجستير، جامعة أم القرى.

- محمد فتحي حسان: إشارات قرآنية إلى الانتفاع بالثروات الطبيعة، موقع شبكة الألوكة، www.alukah.net

- فريد المناع: أسس القيادة من خلال قصة ذي القرنين، موقع مفكرة الإسلام، www.islammemo

- مهدي الرباني: دور القيم التربوية في بناء المجتمع المسلم، منشور في موقع البلاغ، www.balagh.com

- ياسر تاج الدين: تعريف الحضارة وأسسها في الإسلام 2015م، www.alukah.net

- عباس عبد اللطيف، الموارد الطبيعية مفهومها وأهميتها وتصنيفها، 2022م. https://www.uoanbar.edu.i/